العرب
الجمعة 2019/10/04
السنة 42 العدد 11487

جوستين.. رواية دوساد الفضائحية لأول مرة كاملة بالعربية

أيقونة الروايات الممنوعة لم يجرؤ أحد من قبل على ترجمتها كاملة إلى لغة الضاد

احتفى العالم هذا الأسبوع باليوم العالمي للترجمة، هذا الجسر الثقافي الهام الذي ما زال يثير الجدل حول قضية الأمانة في نقل نص من ثقافة إلى ثقافة أخرى، نقل قد يصل أحيانا حد التلاعب إذا كان النص غير مناسب للثقافة المنقول إليها، كما حدث مع رواية "جوستين" لمركيز دو ساد.

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

ترجمة عربية واحدة عن الإنكليزية صدرت لرواية "جوستين" لمؤلفها المختلف عليه مركيز دو ساد. وكانت ترجمة ناقصة عمل فيها المترجم العربي رقيبا قبل الرقيب فحذف منها خمسة عشر فصلا بسبب الممنوعات المعروفة في الثقافة العربية.

لكن "جوستين" منذ صدورها عام 1791 أي قبل 228 سنة تُعد من أكثر الروايات الممنوعة عالميا، فاختلقت لنفسها شهرة أوروبية وعالمية عريضة تناسب جرأتها ومحتواها المدهش، وهي شهرة ليست عرضية في الأحوال كلها، فماركيز دو ساد سارد إشكالي، يشتغل على منظومة خيال عجائبية فائقة جدا.

> رواية «جوستين» لماركيز دو ساد وصفها النقاد بأنها رواية عربدة ومجون وفحش وأن مؤلفها رجل معتوه ومريض ومجنون

لهذا يوصف بأنه متهتك وإباحي ومنحرف وعنيف ومريض وفضائحي في كتاباته الروائية، مثلما يوصف بأنه أول من أوجد في العنف موضوعة روائية قبل قرنين من الزمان. وبالتالي على الجميع قراءته في مرحلته لاكتشاف جانب مهم من تاريخ المجتمع الفرنسي وكنيسته ورجال دينه، فرواياته من هذه الزاوية ذات قيمة ثقافية تاريخية في الأقل كما يصفها يوان بلوخ. وهكذا مع جوستين الرواية الأكثر جرأة وإثارة والأكثر تعذيبا للنفس البشرية في واحد من أقوى سرود الخيال الكابوسية التي لا يجيدها إلا دو ساد.

مناسبة جوستين (لعنة الفضيلة) هو صدورها في بغداد بأول ترجمة أدبية كاملة عن اللغة الفرنسية لا نقص فيها لتشكل حدثا ثقافيا مهما في حرية الاختيار والنشر. وكانت مغامرة من المترجم كامل عويد العامري أن يعيد جوستين إلى الحياة العربية من نصها الفرنسي كاملا من دون تردد أو خشية رقابية، بالرغم مما فيها من ممنوعات جنسية وعنفية وجسدية رهيبة جدا لا يستوعبها القارئ العادي، مثلما حدث بمغامرة مماثلة للعامري الذي قام قبلها بترجمة رواية "120 يوما في سادوم – مدرسة الخلاعة" ترجمة كاملة، وبيعت الرواية سرا في العراق ولا تزال، كما مُنعت في أغلب المعارض العربية وأصبح اقتناؤها غير ظاهري، فآليات الرقابة العربية فعّالة على ما يبدو بالرغم من الانفتاح العالمي شرقا وغربا عبر وسائل الاتصال الإلكترونية العامة.

وكما أنّ لكل رواية قصةَ كتابة وظرف ما، فإنّ دو ساد كتب "جوستين" في أسبوعين فقط عام 1787 لما كان معتقلا في سجن الباستيل. وهذه الفترة القياسية في الكتابة تشف عن قدرة خيالية خلاقة في صناعة سردية غير طبيعية نحو معطى جنسي فضائحي منحرف وغير مألوف روائيا في ذلك الوقت المتأخر أدبيا. حتى أن نابليون بونابرت أودع دو ساد السجن طوال الثلاثة عشر عاما الأخيرة من حياته. وقال عنها بأنها الأكثر "وضاعة" بين الكتب التي قرأها.

"جوستين" وصفها النقاد بأنها رواية عربدة ومجون وفحش وأن مؤلفها رجل معتوه ومريض ومجنون، لما تحويه من فضائحية وعنف جسدي غير متداول في السرديات الروائية والشعرية على مر التاريخ الأدبي. ومع كل هذا فقد وجد دو ساد من يدافع عن روايته ويبررها بظهور أول الملاحظات عن جوستين في صحيفة "المراسلات الخاصة ببيع الكتب" التي أحكمت وضع إشارة مهمة جدا عندما كتب محررها: لكي تجعل من الفضيلة محبوبة على المرء أن يكون على دراية برعب الرذيلة.

دو ساد الذي قال إن سعادة الإنسان تكمن في المخيلة، يلجأ إلى هذه السعادة بأعلى درجاتها في رواية "جوستين"، حينما يضع صبية الرواية فريسة بين اللذة والألم في وصلات شاذة. اللذة بمستواها التاريخي الذي يفهمه على أنه انعكاس لدواخل الإنسان في بحثه عمّا يشبع غريزته الحيوانية، والألم مصدر لتجسد العنف والقسوة التي عليها الإنسان بطبعه الداخلي "الإنسان ليس خيّرا بالأساس"، وبالتالي فإن هذه المعادلة النفسية والجسدية ضرب من ضروب الهذيان السادي الذي يمارسه دو ساد في كل كتاباته الروائية، وينصرف نحو الخيال الفجائعي ويجمعه في عدسة سردية مخيفة ثم تتوسع هذه العدسة تدريجيا إلى الخيال الجامح حتى لتبدو ملحمة إدانة شريرة في قوامها العام.

وهذه المهيمنات المرعبة التي عليها دو ساد في كتاباته لا تبتعد عن سياقاتها المجتمعية قبل قرنين بسيادة الخطاب الديني المزيف وقتها وممارسة الشذوذ من جانب آخر. أي أن رجال الكنيسة أسسوا لمجتمع غرائبي شخصي بمعزل عن الواقع الحقيقي، وبين المجتمعين تنبثق الصبية جوستين بخرافة السرد وعجائبيته القصوى لتمثل كابوسا متسلسلا وغريبا غنيا بالأحداث والمصادفات. فتكشف أهوال الحياة في مجتمع يسيطر عليه التجار والسياسيون والشاذون ورجالات الكنيسة والمنحرفون وجماعات العصابات الإجرامية.

نابليون يعاقب دو ساد بالسجن الطويل من دون أن يميز خيال السرد من واقعيته. ومن دون أن يدرك أن المؤلف هو نتاج اختلال عصبي ونفسي وشذوذي في الوقت نفسه. ولم يدرك كثيرا أن عبقرية السرد الخيالية التي جاءت به جوستين ربما تؤسس لنظريات في علم النفس، مثلما اكتشف فرويد السادية من خلال قراءاته لروايات دو ساد العنيفة جسديا وسايكولوجيا.

ستكون الصبية جوستين ذات الـ12 ربيعا محورا للفضيلة التي يبحث عنها دو ساد في المجتمع الفرنسي آنذاك، ليكشف من خلالها فرشة واسعة من المتناقضات ويقف على ضدية الفضيلة التي تتوسمها الفتاة جوستين من الهرب إلى السجن والإغواء والاضطهاد والتعسف والاغتصاب والجريمة والجنس والإباحية المفرطة إلى الخيانة إلى التعذيب. إلى كل الغرائز الحيوانية والسادية التي يحملها الإنسان في داخله ويمارسها إن توفرت الظروف له.. وهذه هي لعنة الفضيلة عند الصبية جوستين.

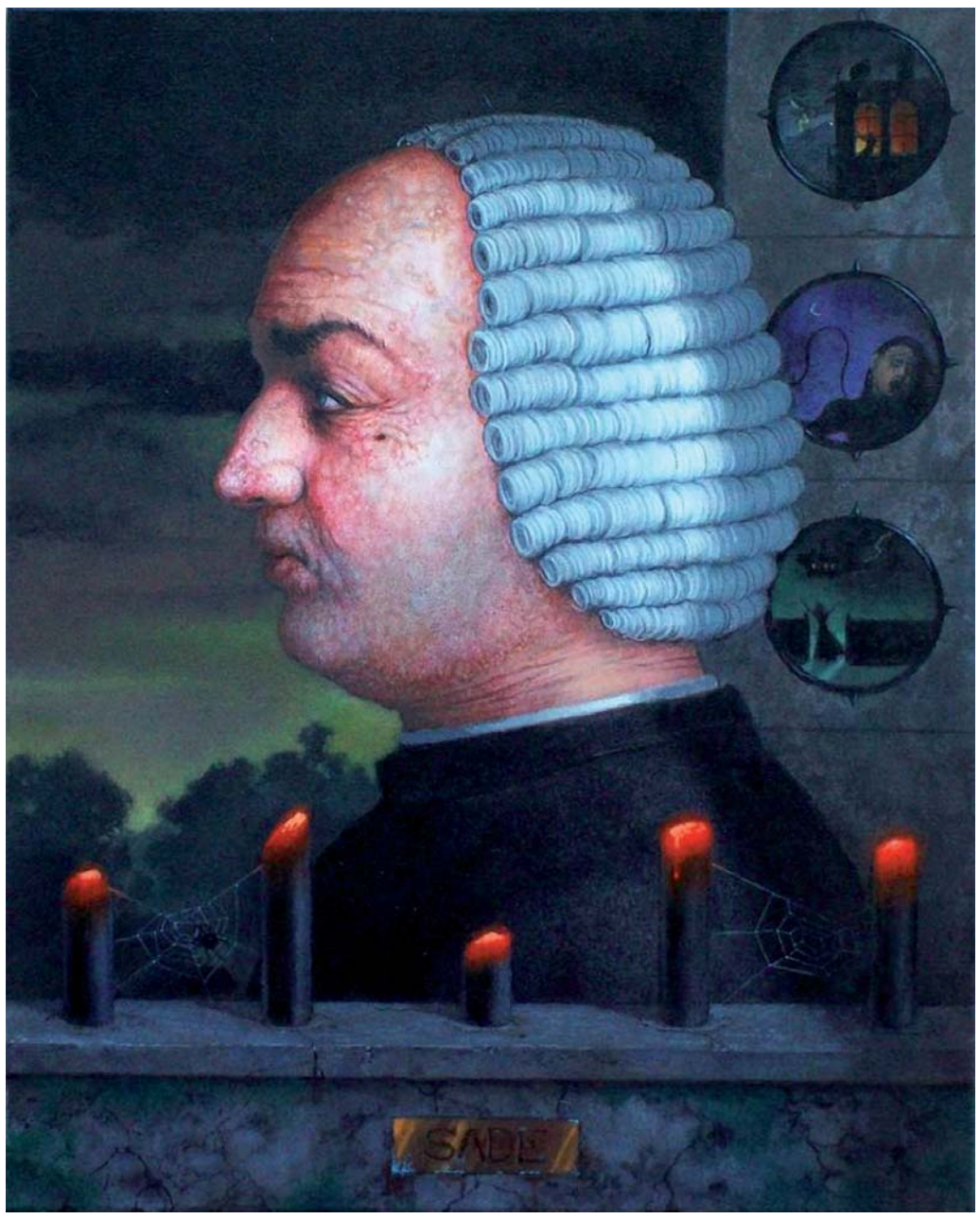

كاتب بمخيلة خصبة تتخطى جدران السجون

مشروع «كلمة» يحتفي باليوم العالمي للترجمة

أبوظبي – نظّم مشروع "كلمة" للترجمة في دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي ندوتين وثمانية معارض كتب في مؤسسات حكومية مختلفة، احتفاء باليوم العالمي للترجمة الذي يصادف 30 سبتمبر من كل عام.

وفي هذا الشأن أقيمت ندوة بالتعاون مع جامعة السوربون أبوظبي بعنوان "دعم المترجمين في العالم العربي: مشروع كلمة أنموذجا" في قاعة روبير دو سوربون بمقرّ الجامعة.

تناولت الندوة تساؤلات حول دور المترجم في حوار الأفكار بين الثقافات المختلفة، ودور الترجمة كأداة تغيير وانفتاح في المجتمع في مواجهة التضليل والتعصب وفي ثقافة التسامح، في محاولة لكشف واقع الترجمة في العالم العربي، وتسليط الضوء على مدى حاجة الترجمة إلى دعم من الجهات الحكومية واضعة مشروع "كلمة" كنموذج.

استضافت الندوة أستاذة اللغة والثقافة العربية بجامعة السوربون – أبوظبي الدكتورة ثناء عباس ومعدّ البرامج في تلفزيون أبوظبي الإعلامي الباحث والمترجم طارق راشد وأدارتها الكاتبة والمترجمة الإماراتية مليحة العبيدلي.

وأوضحت الدكتورة ثناء عباس أنّ خيارات المترجم في إيصال المعرفة، تتعلّق بوسطه السياسي، الثقافي، والاجتماعي، وبالتالي فإن عملية الترجمة ليست مجرّد نقل نصوص من لغة إلى لغة، وإنما نقلها من ثقافة إلى ثقافة أخرى، في سعي دؤوب من المترجم لأن يفهم المتلقي النصوص من خلال خلفيته الثقافية. مؤكدة أنّ مشروع "كلمة" جاء كمشروع ضروري لسدّ حاجة المجتمع.

وأوضح الباحث طارق راشد أهمية دور الترجمة في العالم، كونها الطريقة المثلى التي أوصلت مؤلفين وروائيين حول العالم لجائزة نوبل للآداب، فقد تقدّم في العام 2007 للجائزة 16 عملا مترجما، مقابل 9 أعمال كتبت في الأصل باللغة الإنكليزية.

> الترجمة تسد الفجوات والهوة الثقافية بين مختلف الحضارات وتتيح الفرصة أمام الجميع للاطلاع على أحدث الإصدارات وقراءاتها

وأكّد راشد أن الأعمال المترجمة إلى لغات مختلفة أكبر دليل على أهمية هذه الأعمال، فبانتشارها تسلك طريقها نحو الثقافات الأخرى والجوائز العالمية، وكمثال على ذلك أعمال نجيب محفوظ التي أوصلتها ترجماتها إلى نوبل للآداب.. مشيرا إلى أن نسب الترجمة في الوطن العربي تطوّرت بشكل مرض في السنوات الأخيرة إذ أنه وحسب تقرير التنمية العربية الإنسانية لعام 2001 لم يكن هناك سوى 475 كتابا مترجما في العام بينما أصبحت في الأعوام القليلة الماضية تزيد على 3000 كتاب في العام.

وأقيم على هامش الندوة معرض مصغّر للكتاب تضمّن أحدث إصدارات مشروع "كلمة" للترجمة مع خصومات خاصة لطلاب الجامعة.

ويتزامن تنظيم هذا المعرض في جامعة السوربون أبوظبي مع عدد من المعارض التي يقيمها مشروع "كلمة" للترجمة، بالتعاون مع جهات ومؤسسات حكومية في إمارة أبوظبي.

بدوره، نظّم نادي "كلمة" للقراءة جلسة نقاشية في معرض العين للكتاب المنعقد حاليا في مركز العين للمؤتمرات، عن كتاب "الشباب، العمر من منظور ثقافي" المترجم عن اللغة الإنكليزية لمؤلفه روبرت بوغ هاريسون، ضمن إصدارات مشروع "كلمة" للترجمة.

وقد أدار الندوة مع طالبات جامعة الإمارات الفنان ياسر النيادي. وتناول المتدخلون عدة مواضيع وتساؤلات مطروحة في الكتاب من ضمنها مفهوم العمر والحكمة والعبقرية والطفولة وحب العالم، في محاولة للإجابة عن سؤال كم عمرنا. فالإنسان كما يذكر المؤلف وفقا لهذه النظرية، يمتلك عمرا بيولوجيا وتطوريا وجيولوجيا، وعلاوة على ذلك فإن للإنسان عمرا ثقافيا أيضا.

كما نظّم النادي بمناسبة يوم الترجمة العالمي نشاطا للأطفال في مدرسة حمدان بن زايد، وتضمّن قراءة قصص للأطفال باللغة العربية والصينية.

مشروع كلمة يسافر بقرائه إلى مختلف الثقافات

مهرجان الجنادرية في موعد جديد

الرياض – حدّدت وزارة الثقافة السعودية شهر نوفمبر من عام 2020 موعداً للانطلاقة الجديدة للمهرجان الوطني للتراث والثقافة "الجنادرية" بعد تسلّمها مهمة الإشراف على المهرجان من وزارة الحرس الوطني في شهر يوليو الماضي.

وبدأت وزارة الثقافة استعداداتها لتقديم دورة متميّزة تستكمل بها النجاحات التي حققها المهرجان في سنواته السابقة.

وأكّد المتحدث الرسمي لوزارة الثقافة عبدالكريم الحميد أن الوزارة تسعى إلى تطوير المحتوى الثقافي للمهرجان، وتقديم فعاليات وبرامج وأنشطة متنوعة تعكس عمق التراث الوطني، وتواكب قمة مجموعة العشرين التي ستستضيفها السعودية في وقت متزامن مع ما يُتيحه ذلك من فرص تقديم الثقافة السعودية الغنية للزوّار من مختلف دول العالم.

وأضاف أن الوزارة منذ تسلّمها مهمة الإشراف على المهرجان في يوليو الماضي، وهي تعمل مع العديد من الجهات لوضع تصوّر شامل للدورة المقبلة من المهرجان ودراسة زيادة أيام فترته التشغيلية، وذلك ضمن خطة استراتيجية تحسينية للمهرجان تستمر لثلاث سنوات قادمة، لضمان ظهوره بالشكل الذي يليق بمكانة السعودية وتطلعات الجمهور من مختلف الشرائح.

وأوضح الحميد أن وزارة الثقافة بدأت بتنظيم سلسلة من اللقاءات وورش العمل المتعدّدة مع خبراء ومثقفين من أجل بحث سبل تطوير المهرجان وإثرائه بمحتوى ثقافي يواكب النهضة الحضارية التي تعيشها المملكة في ظل رؤية 2030، مشيرا إلى أن هذه اللقاءات والورش مستمرة على مدى الأشهر القليلة القادمة لزيادة مساحة النقاش المشترك بين الوزارة والخبراء الذين يمثّلون شرائح اجتماعية مختلفة.

وبيّن الحميد أنه بموازاة ذلك فإن عملية نقل جميع ملفات المهرجان التنظيمية من الجهات ذات العلاقة إلى وزارة الثقافة تسير بسلاسة وفعالية، وستنتهي قبل وقت مبكّر من موعد إقامة المهرجان في نوفمبر 2020، مؤكّدا أن الجدول الزمني لتنفيذ الدورة المقبلة جاء مناسبا للاحتياجات التي تتطلبها المرحلة الانتقالية للمهرجان من حيث وضع تصوّر جديد للمحتوى والأنشطة والبرامج، إضافة إلى ما تتطلبه عملية نقل الملفات التنظيمية إلى وزارة الثقافة.

الجنادرية

> الجدول الزمني للدورة المقبلة من المهرجان في نوفمبر جاء مناسبا للاحتياجات التي تتطلبها المرحلة